رفح تستعد للعودة وعليها.. «ياميت»!

ومع احتفالات العيد الأول لعودة العريش إلى مصر.. تستعد إسرائيل للانسحاب من باقى الأراضى المصرية فى سيناء.. وهذه المرة تنسحب إلى الحدود الدولية لمصر. نفس الحدود المصرية ليلة ٥ يونيو ١٩٦٧. ومن بين المناطق التى تستعد إسرائيل للانسحاب منها منطقة «رفح» المصرية على الحدود المصرية مع قطاع غزة.. وهذه المنطقة هى التى اختارتها إسرائيل منذ ٨ سنوات.. لتقيم عليها أكبر مستعمرة إسرائيلية فى سيناء.. مستعمرة «ياميت»!

محمد خلف الله

وكانت إسرائيل بعد يونيو ٦٧ قد ضمت منطقة رفح المصرية إلى بلدية رفح، فى قطاع غزة وكما يقول الحاج محمد على عودة أبو حلوة رئيس بلدية رفح المصرية، فقد كانت إسرائيل تخطط لتفريغ رفح من سكانها بدعوى إجراءات الأمن. وكانت تنتهز أية فرصة لطرد السكان. وهدم منازلهم. وكانت آخر هذه الأحداث هى ما حدث فى أواخر عام ١٩٧١، حينما بدأت إسرائيل فى طرد أبناء رفح من المناطق الخصبة فى شمال سيناء. كما طردتهم من منطقة رفح وهى من أخصب المناطق الزراعية فى سيناء..

وكانت هذه الخطة الإسرائيلية تنفذ فى وقت واحد فى سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية. وكانت تعتمد على حملة منظمة لبث الرعب وإرهاب سكانها الشرعيين عن طريق طردهم الإجبارى. وأعمال الهدم اليومية لمنازلهم لتعجيل عملية إخلاء المنطقة من السكان. وكلها سياسات محسوبة لإخلاء الأراضى المحتلة. عن طريق الترحيل الجماعى لسكانها الشرعيين. وإعادة تسكينها بالإسرائيليين. بهدف خلق أمر واقع. يعرقل أية عملية لإعادتها لأصحابها الأصليين..

وكانت إسرائيل. قبل معركة أكتوبر. تقوم بعمليات التنقيب عن البترول والغاز الطبيعى فى منطقة رفح المصرية. وكما يقول الحاج محمد أبو حلوة، فقد اكتشفت إسرائيل الغاز الطبيعى فى منطقة رفح جنوب غزة. فى منطقة «جوز أبو رعد» وظلت تستغله منذ اكتشافه حتى الآن. وحقول الغاز الطبيعى التى اكتشفتها إسرائيل فى رفح، سوف تعود إلى مصر. كما ستعود أيضا مدينة ياميت التى أنشأتها إسرائيل على الأرض المصرية التى احتلتها فى يونيو ٦٧، وغيرها من المستعمرات التى أقامتها اسرائيل. تماما كما تركت إسرائيل مستعمرة «ينعوت» فى العريش.

● الرئيس السادات يقبل علم مصر بعد أن قدمه له الفريق أول كمال حسن على.. مشهد تاريخى هل يتكرر فى رفح..؟

وما يحدث فى غزة والضفة الغربية الآن سبق أن حدث فى سيناء.. فقد عمدت إسرائيل بعد معركة يونيو ٦٧ إلى إخلاء الأرض المصرية فى سيناء من سكانها مع محاولة لتغيير تكوينها السكانى حتى يمكن إدماج هذه الأراضى فى خطط إسرائيل التوسعية.. لضم الأراضى العربية..

وما حدث فى رفح كان أخطر هذه الأحداث.. ففى شهر يناير عام ١٩٧٢ رحلت إسرائيل أكثر من ١٠ آلاف مصرى من أبناء رفح المصرية على الحدود المصرية مع قطاع غزة.. ونقلتهم بالقوة من ديارهم وقراهم وأرضهم إلى مناطق أخرى.. بدعوى متطلبات «الأمن الإسرائيلى»... وكان هذا الإجراء الإسرائيلى نتيجة لتوصية لجنة خاصة أمر بتشكيلها الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان الجيش الإسرائيلى..

وعادت هذه اللجنة فى الشهر التالى شهر فبراير ١٩٧٢ فأوصت بعدم السماح لأى من سكان منطقة رفح.. بالعودة إليها، بعد إخلائهم عنها.. وذلك كما تقول اللجنة أيضا لاعتبارات تتعلق «بالأمن»!!

وتحت نفس الادعاء.. وبنفس المنطق هدمت إسرائيل خلال نفس الشهر، شهر فبراير ٧٢، عددا كبيرا من منازل سيناء، من بينها ٤٤ منزلا فى العريش، تقع ٩ منازل منها فى الميدان الرئيسى بميدان العريش، مما آثار ضجة فى شمال سيناء.. كان من نتيجتها عزل منطقة رفح تماما عن باقى سيناء. ومنع أصحابها من دخولها وكذلك نزعت ملكية أراضى رفح. بعد طرد أبنائها. ومنعى آخر تفريغها من أبنائها. كما أحيطت رفح بالأسلاك الشائكة والحواجز رغم أن عددا كبيرا من بدو سيناء.. كان يعمل داخل رفح..

وكان الهدف الحقيقى لهذه الأعمال ليس مجرد «إجراءات أمن» ولكن كان الهدف الحقيقى هو إقامة مستعمرات إسرائيلية، يسمونها «مستوطنات»!! على نفس الأرض التى نزعت ملكيتها..

وحتى تحكم إسرائيل قبضتها على رفح، فقد عملت القوات الإسرائيلية على عزل منطقة رفح على مدى عدة أسابيع بهدف إحكام المراقبة التى تقوم بها قوات الأمن لمنع حالات التسلل، وقال المتحدث باسم الجيش الإسرائيلى إن هذه الإجراءات كانت نتيجة لاكتشاف وجود ألغام بالقرب من المستعمرات الإسرائيلى. وأعلن أن بدو سيناء الذين يعملون فى منطقة رفح تحكم الاستمرار فى عملهم. وأنهم يستطيعون الحصول على تسهيلات فى الدخول والخروج فى ظل نظام المراقبة..

ورغم هذه المراقبة الشديدة، فقد استمرت أعمال المقاومة ضد الإسرائيليين. والدليل على ذلك ما قامت به القوات الإسرائيلية من عمليات تفتيش ومصادرة وطرد وكما يقول الحاج محمد حسين عودة أبو حلوة من أبناء رفح:

بعد تفريغ الأرض المصرية فى رفح، أعيش الآن فى العريش، بعد عودتها للسيادة المصرية وقبل حرب أكتوبر قبضت علينا السلطات الإسرائيلية، وقدمتنا للمحاكمة، وحكم على

● الرئيس السادات يستقبل أبناء سيناء .. بعد عودة العريش .

● « يامبت » أقيمت على الأرض المصرية .. في رفح وستتسلمها مصر .

● الانسحاب الأسرائيلي شرقة مستمر .. ورفح تعود قبل عامين ▼

بالسجن ٧ سنوات ، ونفذت الحكم . وفى عملية تبادل الأسرى ، طلبتنا مصر ، وخرجت بعد ١٤ شهرا قضيتها فى السجن ، وعدت إلى القاهرة وكنت ممنوعا من دخول سيناء كلها ولكن بعد عودة العريش ، عدت إلى العريش ، ولكنى حتى الآن ممنوع من دخول رفح .

وبعد أن انتهت إسرائيل من تفريغ الأرض فى رفح .. اعترفت الصحف الإسرائيلية بأن إسرائيل تعتزم إقامة قرى زراعية فى المنطقة ، وتنفيذ مشروع يهدف إلى إنشاء « سيناء كبير » على المدى البعيد ؟ ! ليخدم صحراء النقب .. وهو الحلم الإسرائيلى الذى لم يتحقق .

واستمرت إسرائيل فى سياستها ، فرفضت عودة أبناء رفح إلى أراضيهم التى طردوا منها . واستمرت فى إقامة المستعمرات الإسرائيلية عليها ، كما استمرت فى معاملة المصريين معاملة سيئة . ولم يكن هناك أمل فى وقف هذه السياسة ، رغم مظاهرات أبناء سيناء ورغم الاحتجاج ، ورغم الدعاوى القضائية .

شىء واحد .. اضطر إسرائيل للتوقف عن سياستها فى سيناء ، هو زيارة الرئيس السادات للقدس ، ومبادرة السلام المصرية . وبعدها اتفاقية السلام .. فقد تحول الموقف فجأة .

وبعد أن كانت إسرائيل ترفض عودة أبناء رفح إلى منطقة رفح .. فإنها قد وافقت على عودتهم إلى الأراضى « البور » غير المزروعة .. كخطوة أولى . كما يقول محمد على عودة أبو حلوة رئيس بلدية رفح المصرية حتى يتحقق الانسحاب وتعود رفح المصرية ..

ويعتز أبناء رفح الذين التقيت بهم ، سواء فى العريش ، أو فى القاهرة ، بموقف الرئيس السادات من منطقة رفح ، بعد أن سرت إشاعات بين الإسرائيليين ووصلت إلى أبناء رفح ، أن السادات سوف يستجيب لمطالب إسرائيل بالإبقاء على المستوطنات خاصة مستوطنة « يامبت » وهذا فهم يعتزون بموقف السادات من ضرورة إخلاء إسرائيل لكل المستوطنات .. وأنه يرفض وجود أية مستوطنة . ولذلك أيضا يطالبون بإطلاق اسم السادات على مستوطنة « يامبت » فتصبح مدينة « السادات » بدلا من « يامبت » وتصبح أيضا عاصمة لمنطقة رفح كلها . وتكون فيها المراكز الإدارية ومقر البلدية .. وستكون أول منطقة تستقبل القادم من قطاع غزة .

ومنذ مبادرة السلام .. وأبناء رفح يستعدون للعودة إلى مصر الوطن الأم .. بعد غيبة طويلة قد تستمر إلى ١٥ سنة .. حتى عام ١٩٨٢ . وهم يعدون الأهازيج والأغانى الوطنية بل إن أبناء رفح ساهموا فى إقامة مقر للبلدية ، وأنشأوا فيها قاعة ضخمة ، وكما يقول محمد على أبو حلوة رئيس بلدية رفح ، فقد زارها الحاكم الإسرائيلى للمنطقة ولما شاهد هذه القاعة أخذته الدهشة . وسأل :

– لماذا هذه القاعة الضخمة .. هل سيستقبل فيها الرئيس السادات ؟ !

وكانت الإجابة .. قاطعة .. على لسان أبناء رفح .

– إن شاء الله .. سوف نستقبل فيها الرئيس السادات ..

وربما يفكر أبناء رفح فى المستقبل ويتطلعون لليوم الذى يعودون فيه إلى الوطن الأم مصر .. يتذكرون أن رفح فى حاجة إلى مدرسة ثانوية للبنات .. ويتطلعون إلى تحقيق هذا الأمل : إنشاء مدرسة ثانوية للبنات ، سيطلقون عليها اسم سيدة مصر الأولى « جيهان السادات » لتكون « رمزا » لبنات سيناء .. وبنات رفاح .

حلم آخر .. يتطلع إليه أبناء رفح وهم ينتظرون يوم العودة .. فهم يحلمون بأن يرفع الرئيس السادات العلم المصرى على منطقة رفح وفى قلب مدينة يامبت .. فى احتفال ضخم تنقله الأقمار الصناعية ، كما حدث فى الاحتفال بعودة العريش ، لأن منطقة رفح آخر جزء من الأراضى المصرية يعود إلى الوطن الأم مصر .. وهو الذى يعود بعد ١٥ سنة من الاحتلال الإسرائيلى . كما أنه أول قطعة أرض مصرية ضاعت فى معركة يونيو ٦٧ .

* * *

وتمضى مسيرة السلام .. وكما عادت القنطرة شرق بالخير .. عادت العريش بالسلام . وسوف تعود رفح .. وقد استقر السلام .. وفى انتظار عودة رفح .. تظل أحلام العودة .. تنتظر .. لحظة التحقيق .